مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 7 العدد 1 / جوان 2021
ص ص 26-33

البدايات الأولى لعلم الصرف وتداخله مع علم النحو

The first beginnings of science morphology and its overlap with science grammar

غنية زغبيب
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة، مخبر الدراسات التراثية (الجزائر)،
g.zeghbib@centre-univ-mila.dz

الاستلام: 2021/05/01 القبول: 2021/05/28 النشر: 2021/06/30

ملخص:

نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى التعرف عن البدايات الأولى لعلم الصرف ومعرفة سبب التداخل الحاصل بينه وبين علم النحو، خاصة إذا علمنا أن المؤلفات والمصنفات القديمة غالبا ما تجمع علم الصرف والنحو معا وتعدهما علما واحدا، لأن الصرف كان يصنف ضمن الدراسات النحوية باعتباره جزءا من النحو، الأمر الذي جعل بدايات هذا العلم غير واضحة المعالم فلم يعرف له واضع محدد ولا زمن معين، وسنحاول في بحثنا هذا الكشف عن نشأة علم الصرف وكذا أهميته بين علوم العربية، بالإضافة إلى تداخل علم الصرف والنحو عند القدماء واستمرار ذلك التداخل عند المحدثين على الرغم من استقلاليته.

الكلمات المفتاحية: البدايات؛ الصرف؛ الأهمية؛ التداخل؛ النحو.

Abstract:

The aim throngh this research paper is to identify the rerhy beginnings of morphology and know the reasom of ist overlap with grammar, especially if we know that the ancient hterature and works comtaine morphology within the grammatical stidies as part of grammar which made the beginings of this science ; togther and no specific time was known to it .we will try in our research on the emergence of morphology and ist importance within arabic sciences in addition to the ovrlap of morphology and grammar among the ancients and contimation of this overlap among the modernists despite its imdepence.

Keywords: the beginnings; morphology; importance; overla; grammar.

1.مقدمة:

تشعبت اللغة العربية وتوسعت لتشمل دائرة من العلوم التي ألهمت الكثير من علماء اللغة فمنها علم البلاغة والبيان، علم الأصوات، علم البديع، علم النحو وعلم الصرف، هذا الأخير الذي يعدّ من أبرز علوم اللغة العربية والذي يعنى بدراسة مفردات اللغة من حيث بنيتها وأحوالها وما يطرأ عليها من إعلال وإدغام وإبدال وحذف وزيادة، فله مكانة مرموقة بين سائر العلوم. كيف لا؟ وهو الذي يعصم اللسان من اللحن، كما أنه أداة مسهلة لنطق الكلمات وإبعادها عن التعقيد الصوتي.

ولا يختلف اثنان في حاجة علم النحو إليه فهو يعتبر بنية أساسية لقيامه وخطوة ممهدة لدراسة مسائله وتفسيرها فلا تكاد المؤلفات النحوية القديمة تخلو من علم الصرف، فقد اهتم القدماء بدراسته مقترنا بالنحو كعلم

واحـد، بَيْـدَ أنَّ انفتـاح النحـو ووفـرة مادتـه ومـوارده جـذب الدارسـين واسـتحوذ علـى اهتمامهم وعنايتهم ما جعله مهيمنا على عكس الصرف الذي لم ينل حقه من البحث والتأليف بـل هُمـش وتـذيل مؤلفـاتهم فشـحّت مراجعـه وعكـف البـاحثون عـن دراسـته، ولـم يـدم هـذا الحال إذ تم تدارك الوضع وحاز عناية الدارسين واهتمـامهم وارتقـوا بـه ليصـبح قسـيما للنحـو وموازيا له دون أن يفصل عنه ويمنح استقلاليته وعليه نطرح الإشكال: ما هي أولى خطوات بروز علـم الصـرف؟ أو بـالأحرى كيـف كانـت بـدايات ظهور هذا العلم؟

وإذا كان قد عُني بهذا العلم واعُتمد من بين أهم علـوم اللغـة لِـمَ لَـمْ تُمنحْ لـه مسـاحة خاصـة بـه بعيـدا عـن النحـو؟ أو بصـيغة أخـرى مـا هـي العلاقة الحتمية التي تربط هذين العلمين والتي رضخ لها الدارسون؟

2. مفهوم علم الصرف:

الصرف من الناحية اللغوية كما ورد في مختلف المعاجم العربية يحمل مدلول التغيير والتحويل ومن ذلك: الصرف "شيء صُرف إلى شيء كأن الـدينار صُـرف إلى الـدراهم، أي رجـع إليهـا إذا أَخذت بَدَلَه" (ابن فارس، د،ت). ويقال: "رجل صيرف متصرف في الأمور مُجِد فيها" (ابن دريد، 1415ه)، ويقال كذلك: "صرف الشيء صرفا ردّه والرجل عن رأيه كذلك" (الصقلي، 2003م)

هـذه بعـض المعـاني اللغويـة التي ذكـرت في المعاجم، والتي لاحظنا أنها تحمل المدلول نفسه إلى حـدّ كبير، لـذلك اكتفينـا بمـا سـبق ذكـره، فـالمعنى اللغـوي ينحصـر في التقلـب والتبـدّل من حال إلى حال.

أمـا مـن الناحيـة الاصـطلاحية فيعـرف علـم الصـرف بأنـه: "علـم بأصـول يعـرف بهـا أحـوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب" (ابن الحاجب، 1415ه، صـفحة 6). ويعرفـه ابـن عصـفور فيقـول: "هـو معرفـة ذوات الكلـم في أنفسـها من غيـر تركيـب" (الاشـبيلي، 1407ه/ 1987م، صـفحة 30). وقيـل: "التصـريف هـو أن تـأتي إلى الحـروف الأصـول ... فتتصـرف فيهـا بزيـادة حـرف أو تحريـف بضـرب مـن ضـروب التغييـر" (ابـن جني، 1419ه، صفحة 12).

يتضح مما سبق أن علم الصرف يهتم بدراسة بنية الكلمة وما يلحق بها من تغيرات مبتعدا في ذلك عن التركيب

2. البوادر الأولى لظهور علم الصرف:

من المعلـوم أن علمـا النحـو والصـرف لـم يظهـرا مـن فـراغ بـل كانـا ضـرورة حتميـة نتيجـة تفشـي ظـاهرة اللحـن في القـرآن الكـريم مـن خـلال اختلاط العرب المسلمين بالأعاجم بعد دخولهم في الـدين الإسـلامي، فكان لابد من وضع قواعد تضـبط اللغـة العربيـة وتصـونها مـن الخطـأ وتمثلت تلك القواعد في علمي الصرف والنحـو، فقد نشآ معا في ظروف واحدة باعتبار أنهما كانا ممـزوجين معـا في كتـب النحـاة الأوائـل، وعليـه يمكن القـول أن نشـأة وظهـور علـم الصـرف كان متزامنا مع علم النحو، وقد كثرت الروايات التي تشير إلى انتشار اللحن في البلاد العربية من بينها: "قـال أبـو حسـن المدائني: كان سـابق الأعمى يقـرأ قولـه تعـالى: (هُـوَ اللَّهُ الْخَـالِقُ الْبَـارِئُ الْمُصَـوِّرُ لَـهُ الأَسْـمَاء الْحُسْـنَى يُسَـبِّحُ لَـهُ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ) (الحشـر.آية:24)، فكان ابن جابان إذا لقيه يقـول لـه: يـا سـابق مـا فَعَل الحرف الذي تشرك فيه بالله يقصد حرف الواو من كلمة (المصوِر) الذي كان يقرأه بالفتح" (الجاحظ، د،ت، صفحة 337).

وهناك أمثلة عديدة عن اللحن ومنه ما حكي عن أبي عبيد: "أنه قال في مندوحة من قولك "مالي عنه مندوحة" أي: متسع إنها مشتقة من انداح وذلـك فاسـد، لأن انـداح انفعـل ونونـه زائـدة ومندوحـة مفعولـة فنونـه أصـلية، وعلى رأي أبي

عبيد يكون الوزن: مُنْفُعْلَة، ولا وجود لهذا الوزن في العربية" (الحملاوي، د،ت، صفحة 17).

ولم يقتصر اللحن على القرآن الكريم بل لحق أيضا كلام العرب فظهرت الكثير من السقطات والهفوات عند المتكلمين ويظهر ذلك جليا في" ما قاله يوسف بن خالد التميمي لعمرو بن عبيد: ما تقول في دجاجة ذُبحت من قَفَائِهَا؟ قال له عمرو: أَحْسِنْ قال: من قَفَاؤُها قال أحسن، قال من قفائها قال له: من عَنَاك هذا قل من قفاها واسترح" (الجاحظ، د،ت، صفحة 334،333).

وكما سبق ذكره بأن الصرف نشأ مع النحو في حقبة زمنية واحدة منصهرا في الدراسات النحوية والمؤلفات القديمة. **فإلى من يعزى الفضل في نشأة هذا العلم؟**

وفي هذا الشأن اختلفت الروايات وتباينت حول مؤسس هذا العلم النفيس والدقيق فبعض الروايات ترجح أن البدايات الأولى لهذا العلم ظهرت مع معاذ بن مسلم الهرّاء وهو من كبار علماء اللغة بالكوفة بالاستناد إلى الرواية التي رويت عن أصحاب التراجم (السيوطي، 1326هـ، صفحة 394،393): أن أبا مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان جلس إلى معاذ الهرّاء، فسمعه يناظر رجلا، فقال له معاذ: كيف تقول من:(تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) يا فاعل افعل، وصلها: بـ يا فاعل افعل من (وإذا الموءودة سُئِلَتْ) فسمع أبو مسلم كلاما لم يعرفه، فقال:

قد كان أخذهم للنحو يعجبني .. حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

لما سمعت كلاما لست أفهمه .. كأنه زجل الغربان والبوم

تركت نحوهم والله يعصمني .. من التقحم في تلك الجرائيم

في حين يذهب البعض إلى أن الإمام علي كرم الله وجهه هو واضع علم الصرف لأنه يعد أول من فطن وانتبه إلى الخطأ الذي وقع في بعض أبنية الكلمات وهيئاتها عند بعض المتكلمين، فوضع في البناء بابا أو بابين هما أساس علم الصرف (الدجني، د،ت، صفحة 21).

من جهة أخرى يقال بأن واضع علم الصرف هو أبو الأسود الدؤلي، وذلك من خلال تلقيه الإيحاءات الأولى والتوجيه من علي كرم الله وجهه بحكم تزامنهما في العصر نفسه (الحملاوي، د،ت، صفحة 34).

ورأي آخر يقول بأنه لم تثبت نسبة وضع هذا العلم لعالم بعينه حتى الآن، وإنّما وصل إلينا مدونا في كتب النحو، وأقدم كتاب بين أيدينا من المؤلفات النحوية وجامع للعلمين كليهما، هو كتاب سيبويه المتوفى سنة 180هـ (الحديثي، 1422هـ/ 2001م، صفحة 122).

من خلال هذه الآراء والروايات نلاحظ أنه لم يُعرف إلى من يعزى هذا العلم تحديدا، فهذا الاختلاف في الآراء قد يرجع ذلك إلى إغفال القدماء وعدم اهتمامهم بتاريخ هذا العلم كونه نشأ مع النحو، إلا أننا بالاستناد إلى مرجعيات سابقة نميل إلى ترجيح الرأي الأول؛ أي أنّ معاذ الهرّاء هو واضع هذا العلم على الأغلب لأنه عُرف واشتهر قديما باشتغاله بمسائل التمرين واهتمامه الكبير بهذا الجانب، حيث قال عنه غريب نافع :" وأول من أفرد مسائل الصرف بالبحث والتأليف معاذ بن مسلم الهرّاء(ت187هـ)؛ فهو الذي بدأ التكلم فيه مستقلا عن فروع العربية وأكثَرَ من مسائل التمرين التي كان المتقدمون يسمونها التصريف، وقد ترسم العلماء خطاه واتبعوا منهجه واقتدوا به" (غريب، 1493هـ/ 1973م، صفحة 23).

3. أهمية علم الصرف بين علوم العربية:

إنَّ لعلم الصرف الفضلَ الكبير في دراسة اللغة العربية وبيان قيمتها وضبطها، فاحتلّ بذلك مكانة مرموقة بين علوم اللغة وأهمية كبيرة لاحتياجها إليه، ويبين ذلك قول ابن جني في كتابه المصنف "لأنه يحتاج إليه أهل العربية أتم

حاجة، وبهم إليه أشد فاقة، لأنه ميزان العربية" (ابن جني، 1374هـ، صفحة 2).

كما يرفع ابن عصفور الاشبيلي قيمة هذا العلم إلى مرتبة الشرف والغموض كيف لا وهو العلم الذي تفتقر إليه كل العلوم أشد افتقار إذ يقول: "فهو أشرف شطري العربية، وأغمضهما فالذي يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية من نحوي ولغوي إليه أيما حاجة لأنه ميزان العربية، ألا ترى أنه يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس ولا يوصل إلى ذلك إلا عن طريق التصريف ... ومما يبين شرفه أيضا أنه لا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به" (الاشبيلي، 1407هـ/ 1987م، صفحة 28،27).

وما يزيده رفعة تصويبه للسان وحمايته من الوقوع في اللحن والخطأ إذ يقول أحمد الحملاوي: "وبعلم التصريف كأخيه النحو أيضا يعصم اللسان من اللحن" (الحملاوي، د،ت، صفحة 17).

ويضيف عبد الكريم الفكون في هذا المنحى فيقول: "صون اللسان عن الخطأ في تأدية جوهر اللفظ، مع ما في معرفته من فائدة كيفية أداء الأحاديث النبوية على الهيئة والأسلوب اللغوي، وناهيك شرفا بما يوصل إلى التعليق بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ... ومما يبين شرف هذا العلم أنّه لا يتوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به" (الفكون، 2004م، صفحة 103).

مما تقدم ذكره تجلت لنا أهمية هذا العلم ومنزلته الرفيعة بين علوم اللغة ويبرهن على سمو مكانة هذا العلم الذي تستقي منه وتستند عليه كل علوم العربية من أجل انبثاقها وارتقائها كيف لا وقد قال عنه السيوطي في مزهره: "أما التصريف فإنّ من فاته علمه فاتَه المُعْظَم" (السيوطي، د،ت، صفحة 330).

4- علما الصرف والنحو ما بين الاتصال والانفصال:

لم يُفصل بين علم الصرف وعلم النحو منذ النشأة، بل امتزجا في علم واحد تجمع بينهما علاقة وطيدة، فلم يظهر أي تمييز واضح بينهما في جميع الكتب المؤرخة لهما، ويرجع ذلك أن المتقدمين صهروا العلمين في بعضها وجعلوا علمَ الصرف جزءًا لا يتجزأ من علم النحو لذلك قيل: "بَيْدَ أن الكتب التي أرّخت لهذه العلوم ولكبار أعلامها، لم تبدِ تمييزا واضحا بين النحو والتصريف كما يجب ولقد لبث اندراج التصريف في النحو قائما من أيامه الأولى إلى القرون المتأخرة في بعض تلك الكتب، ذلك أن المتقدمين كانوا يعرفون النحو بأنه: علم يبحث عن أحوال الكلم العربي إفرادا وتركيبا فيجعلون الصرف جزءا من أجزاء النحو، لا علما قائما برأسه" (قباوة، 1401هـ، صفحة 48).

وبرهن على ذلك علي النجدي ناصف في دراسته لكتاب سيبويه قائلا: "جمع سيبويه النحو والصرف في الكتاب، ولكنه جعل لكل مكانه منه لا يشركه الآخر فيه أو يكاد وبدأ بالنحو وثنى بالصرف، صنيع من يراهما علمين عددا وموضوعا، وعلما واحدا قصدا وغاية" (ناصف، د،ت، صفحة 170).

ولا يبتعد أحمد مختار هو الآخر عما ذهب إليه علي النجدي فيقول مُعلقا: "ومن يراجع موضوعات الجزء الأول من الكتاب يجدها خاصة بالنحو... أما الجزء الثاني فجميع أبوابه صرفية إذا استثنينا باب الممنوع من الصرف الذي افتتح به الجزء، ومن موضوعاته: النسب والتصغير ونونا التوكيد، وجمع التكسير وأوزان المصادر وصيغ الأفعال، ومعاني الزوائد..." (مختار عمر، 2003م، صفحة 86).

ولم يكن سيبويه الوحيد الذي جمع بين النحو والصرف في كتابه بل سار على نهجه العديد من النحاة كما جاء في المقتضب للمبرد والأصول لابن السراج والتبصري للصميري وغيرهم ممن

جمع العلمين في مصنف واحد مع اختلاف طريقتهم في التبويب والترتيب.

فقد أظهر ابن السراج الصرف مقترنا بالنحو وعدهما علما واحدا إذ يقول: "النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة باستقراء كلام العرب فاعلم: أن الفاعل رفع، والمفعول به نصب وأن فعل مما عينه ياء أو واو تقلب عينه من قولهم: قام وباع" (ابن السراج، 1417هـ/ 1996م، صفحة 35).

إذ إنّه ابتدأ كلامه بالنحو في ما يخص الإعراب وثنى قوله بظاهرة صرفية، وهي الإعلال، ومِنْ ثَمَّ عَدَّهُ جُزءًا من النحو.

ويقول الرضي الاستراباذي: "واعلم أن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصناعة" (الاستراباذي، د،ت، صفحة 6).

وبذلك أكد أن الصلة الوطيدة بين العلمين وترابط مباحثهما أمر مسلم به ولم يختلف فيه العلماء القدامى.

فيتضح أن القدماء مزجوا الصرف والنحو في مؤلفاتهم باعتبارهما علما واحدًا أو بالأحرى جزأين لعلم واحد، فلم يبدوا اختلافا بين العلمين، فجمعت المباحث الصرفية والنحوية في مؤلفاتهم إلى غاية القرن الثاني للهجرة أين بدأت حركة التأليف والتصنيف تتسارع، مما جعل علوم العربية تميل نحو التخصص وبدت ملامح انفصال العلوم عن بعضها البعض تتشكل على يد الدارسين والباحثين وعلى إثر ذلك انفصل علم الصرف عن قرينه النحو.

فقد استقل علم الصرف عن النحو وتفرد بالكثير من المصنفات والمؤلفات خاصة بعد كتاب التصريف للمازني الذي يعد الحد الفاصل بين العلمين إذ هو الكتاب الأول الذي وصل إلينا مستقلا بالمباحث الصرفية التي لطالما لبث اندراجها في كتب النحو، وذلك في القرن الثاني الهجري (عويقل السلمي، 1424هـ/ 2003م، صفحة 26).

فيرجع الفضل الكبير في تقعيد علم الصرف للمازني من خلال دراسة هذا العلم وإفراده في مصنف واحد الأمر الذي جعل الكثير من الدارسين والباحثين يعدونه رائد علم الصرف.

ولا بأس أن نسوق بعض الكتب التي ألفت في هذا العلم بعد استقلاله (عويقل السلمي، 1424هـ/ 2003م، صفحة 21، 22):

- (المقصور والممدود)، (المذكر والمؤنث)، (فعلت وأفعلت) لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة 255هـ.
- (التصريف)، (المذكر والمؤنث) لأبي العباس المبرد المتوفى سنة 285هـ.
- (التصغير)، (الوقف والابتداء) لثعلب المتوفى سنة 291هـ.
- (التصريف)، (المقصور والممدود) لأبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان المتوفى سنة 299هـ.
- (الاشتقاق)، (فعلت وأفعلت) لأبي إسحاق الزجاج المتوفى سنة 310هـ.
- (الاشتقاق) لأبي بكر محمد بن السري بن السراج المتوفى سنة 316هـ.
- (المقصور والممدود)، (المذكر والمؤنث) لأبي أحمد بن الحسن بن العباس بن شقير المتوفى سنة 317هـ.

هذه بعض المؤلفات التي أفردت علم الصرف بمختلف مباحثه وأبوابه والتي جاءت بعد المازني وجعلت منه علما مستقلا ومنفصلا بذاته عن علم النحو، فقد دمج القدماء العلمين في البداية ثم عادوا وشقوا لكل علم طريقه وأفردوه في التأليف وأعطوه المكانة التي يستحقها فسطع نور علم الصرف بمثابرتهم واجتهادهم، فهل استمر تألق هذا العلم وارتقائه على يد

المحدثين؟ وهل منحوا له مساحته الخاصة التي تضمن استقلاليته وإفراده في مؤلفاتهم كعلم يدرس لذاته ؟ وهل يمكن تحقيق ذلك في ظل ترابط العلمين واحتياج كل منهما للآخر ؟

ومن خلال تأملنا نصوصَ المحدثين وأقوالهم نلاحظ أنهم ساروا على خطى الأقدمين، إنْ لمْ نقلْ أنهم نهجوا منهجهم في مزج العلمين وأقروا بتداخل العلمين وتشابكهما معا في خدمة اللغة العربية إذ يقول مصطفى النحاس: "فإذا ما مزج أبو علي في إيضاحه بين المباحث النحوية والصرفية، وضمنها في دائرة واحدة فمعناه أن له في ذلك رأيا ومنهجا، ما جعل النحو يدرس التراكيب والمفردات جميعا" (النحاس، 1415هـ/ 1995م، صفحة 186).

ولم يكن هو الوحيد فعبده الراجحي هو الآخر يشيد بآراء القدامى في تبعية علم الصرف للنحو، وكان موافقا لهم في مزج العلمين ودمجهما في علم واحد، وجعلهم لعلم الصرف ممهدا لدراسة علم النحو (الراجحي، د،ت، صفحة 5).

ويضيف علي النجدي ناصف: "وهو رأي لا جرمَ صحيح، فالنحو علم يدرس أواخر الكلمات، والصرف علم يدرس بنيتها، وكلاهما عون على فهم العربية ومحاكاة العرب في التعبير، ويأخذ بهذا الرأي أكثر النحويين ويجرون في تصنيف القواعد على مقتضاه" (ناصف، د،ت، صفحة 170).

ومن هنا نجد أن علما الصرف والنحو متكاملان فإن كان الأول يدرس هيأة الكلمة، فالثاني يدرس أواخرها فلا يمكن إقصاء أحدهما إذا أردنا فهم اللغة العربية وهذا ما اعتمده معظم النحويين في وضع القواعد.

ويؤكد هذا كمال بشر بقوله: "إنّ الصرف يخدم النحو، ويسهم في توضيح مشكلاته وتفسيرها ويعد مقدمة للنحو ولا يجوز عزل أحد هذين العلمين عن الآخر في النظري والتطبيق، لأن مسائلهما متشابكة ولا قيمةَ لنتائج البحث في الصرف ما لم توجه إلى خدمة الجملة والتركيب ولهذا جرى التقليد على مناقشتهما معا وعلى التعرض لمسائلهما في إطار علم واحد" (بشر، د،ت، صفحة 238،239). وأفصح بذلك على إتباعه للمتقدمين .

ويقر بعض الباحثين باقتران العلمين ببعضهما فلا يمكن الفصل بينهما، أو دراسة أحدهما بمنأى عن الآخر؛ إذ إنَّ علم الصرف هو الأساس الذي تبنى عليه قواعد النحو، وهو ما ذهب إليه تمام حسان وأكده بقوله: "إن النحو لا يتخذ من أي نوع إلا ما يقدمه الصرف من المباني، وهذا هو السبب الذي جعل النحاة يجدون في أغلب الأحيان أنه من الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنحو، فيعالجون كلا منهما علاجا منفصلا ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك، يصعب معه إعطاء ما للنحو للنحو وما للصرف للصرف" (حسان، 1973م، صفحة 178).

بناءً على ما تقدم ذكره تبين أن المحدثين أيدوا وبقوة دمج العلمين وتداخلهما، مدركين أهمية ودور العلمين معا في فهم اللغة العربية لأنه لا يمكن فصل الكلمة عن التركيب باعتبار أن الصرف يدرس المفردة قبل دخولها في التركيب في حين يدرس النحو الكلمة في التركيب أو الجملة، ومنْ ثَمَّ فإنّ فصل أحدهما عن الآخر قد يؤدي إلى ضعف اللغة العربية؛ لأن علوم العربية وفي مقدمتها علما الصرف والنحو جاءت من أجل دراسة هذه اللغة وبيان كنهها ومحاولة ضبطها، وهذا ما حاول المحدثون تأكيده من خلال تأييدهم لأفكار المتقدمين، وفي هذا المقام يستحضرنا قول عبد المقصود محمد عبد المقصود بأن "الصرف باهتمامه ببنية الكلمة إنما هو من أجل توظيفها في تركيب نحوي، وأن الصيغة أو الكلمة في ذلك الدرس الصرفي تبقى جامدة أو تدرس مفردة وتبين التغيرات في بنيتها

والغرض من ذلك، وتصنف اسما وفعلا وحرفا تحت أي فصيلة من فصائل التذكير والتأنيث أو التثنية والجمع أو التعريف والتنكير، فيتناولها النحوي في تركيبه في صيغة واضحة المعالم تتحكم فيها العلاقات النحوية وتمنحها الحركة والديناميكية، وتظهر قيمتها الصرفية بمقدار مساهمتها في المعاني النحوية" (عبد المقصود، 2006م، صفحة 94).

والمتمعن في هذا القول يدرك ببساطة العلاقة الوظيفية التي تجمع العلمين، فالصرف يدرس بنية الكلمات متفردة وما يطرأ عليها من تغيرات إلا أن النحو هو من يعطيها الحركية بوضعها في تراكيب تحقق المعاني النحوية التي أساسها علم الصرف.

أما في ما يخص موقف المحدثين من استقلال علم الصرف وانفصاله نجد الإجابة عن هذا السؤال في قول مصطفى النحاس: "وهذا المسلك في عمومه لا غبار عليه من وجهة نظر اللغوي الحديث، فقد أصبح من المتعارف عليه أنه إذا جاز الفصل بين النحو والصرف فإنما هو فصل موقوت تفرضه أحيانا ضرورة البحث ... ولذا يرى كثير من المحدثين أن النحو بمعناه الواسع يشمل الصرف الذي يعد خطوة ممهدة له، وهما معا يكونان كلا لا يتجزأ..." (النحاس، 1415هـ/ 1995م، صفحة 186).

ونحن بدورنا نؤيد هذا الرأي إذ إنه لا انفصال للصرف عن النحو بل أنه يخدمه ويعد ممهدا له، لأنه مهما حاولنا الفصل بين العلمين سنجد نقاط مشتركة بينهما تجعلنا نعيد التفكير من جديد في علاقتهما وتداخلهما فهما معا يشكلان علاقة متكاملة في خدمة اللغة العربية.

5.خاتمة:

يمكن القول إنّ علم الصرف نشأ موازيا لعلم النحو وأنهما ظهرا في ظروف واحدة نتيجة تفشي اللحن في البلاد العربية، كما أننا لا نستطيع إسناد ظهور هذا العلم لواضع معين فلم يتم بعد تحديد إلى من يعزى فضل إرساء قواعد هذا العلم إلا أننا آثرنا المتداول والمشهور، ولا يمكن لنا أن ننكر أهمية هذا العلم وفائدته فهو ميزان العربية ومقياسها ومن أشرف العلوم وأغمضها ربما هذه الخاصية هي التي جعلت الباحثين يهيبون به ويحيلون دون دراسته، واتجهوا إلى دراسة علم النحو من جوانبه كلّها، فلم يتركوا شاردة ولا واردة إلا درسوها، مما جعل النحو يطغى نوعا ما عليه.

ويمكن إرجاع سبب تداخل العلمين إلى عاملين هما أن علم الصرف عرف بغموضه ودقته وقلة مباحثه مما جعل المتقدمين يذيلون به مؤلفاتهم من جهة، ومن جهة أخرى العلاقة الوطيدة التي تجمع العلمين؛ إذ من غير المعقول أنْ تدرس بنية الكلمة، وتهمل التركيب والعكس صحيح، فالعلمان كلاهما يخدمان بعضهما بشكل أو بآخر، وهي علاقة أقل ما يقال عنها أنها عضوية.

6. قائمة المراجع:

-ابن السراج. (1417هـ/ 1996م). الأصول في النحو. بيروت.مؤسسة الرسالة

-ابن عصفور الاشبيلي. (1407هـ/ 1987م). الممتع الكبير. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

- ابن فارس ,أحمد. د،ت .(مقاييس اللغة .)بيروت :دار الجيل.

- أبو الفتح عثمان ابن جني. (1419هـ). التصريف الملوكي. بيروت: دارالفكر العربي.

- أبو الفتح عثمان ابن جني. (1374هـ). المصنف. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

- أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد. (1415هـ). جمهرة اللغة. بيروت: دار العلم للملايين.

- أبـو عثمـان عمـرو بـن بحـر الجـاحظ. (د،ت). البيان والتبيين. بيروت: المكتبة العصرية.

- أبـو عمـرو عثمـان ابـن الحاجـب. (1415ه). الشافية في علم التصريف. مكة المكرمة: المكتبة المكية.

- أحمد بن محمد الحملاوي. (د،ت). شذا العرف في فـن الصـرف. الريـاض: دار الكيـان للطباعـة والنشر والتوزيع.

- أحمـد مختـار عمـر. (2003م). البحـث اللغـوي عند العرب. عالم الكتب.

- الجـاحظ. (د،ت) .(البيـان والتبيـن) بيروت : المكتبة العصرية.

- الرضـــــي الاســـــترباذي. (د،ت). شـــــرح الشافية.القاهرة.

- القطـاع الصـقلي. (2003م). كتـاب الأفعـال. بيروت: دار الكتب العلمية.

- تمـام حسـان. (1973م). اللغـة العربيـة معناهـا ومبناها. الهيئةالمصرية العامة للكتاب.

- جلال الـدين السـيوطي. (د،ت). المزهـر في علـوم اللغة وأنواعها. بيروت: دار الفكر.

- جلال الـدين السـيوطي. (1326ه). بغيـة الوعـاة في طبقـات اللغـويين والنحـاة. مصـر: مطبعـة السعادة.

- خديجـة الحـديثي. (1422ه/ 2001م). المـدارس النحوية. الأردن: دار الأمل.

- عبـد الفتـاح الدجني. (د،ت). في الصـرف العربي، نشأة ودراسة. الكويت: مكتبة الفلاح.

- عبـد الكـريم الفكـون. (2004م). فـتح اللطيـف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف. الجزائر.

- عبـد الله عويقـل السـلمي. (1424ه/ 2003م). علـم التصـريف بـين الاسـتقلال والتبعيـة. مجلـة الذخائر (13،14)، 23،24.

- عبـد المجيـد نـافع غريـب. (1493ه/ 1973م). الصرف القياسي وأثره في نمو اللغة. القاهرة: دار الطباعة المحمدية.

- عبده الراجحي. (دت). التطبيق الصرفي. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

- علـي النجـدي ناصـف. (د،ت). سـيبويه إمـام النحاة. القاهرة: دار عالم الكتب.

- فخـر الـدين قبـاوة. (1401ه). ابـن عصـفور والتصريف. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

- كمال بشـر. (د،ت). التفكير اللغوي بين القـديم والحديث. دار الثقافة العربية.

- محمد عبـد المقصـود عبـد المقصـود. (2006م). دراسـة البنيـة الصـرفية في ضـوء اللسـانيات الوصفية. بيروت: الدار العربية للموسوعات.

- مصـــطفى النحـــاس. (1415ه/ 1995م). مـــن قضايا اللغة. الكويت: مطبوعات جامعية.